رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الرابعة

من مدام ركاميه الى السير رالف انزورث

(فى القرن الثامن عشر ولدت فرنسا للعالم نبوليون ابن المريخ ومدام ركاميه ابنة الزهرة . فاخضع الاول العالم بسيفه واخضعته الثانية بجمالها . واشتد النضال بين الاثنين . فبينما كان العالم يركع عنـد قدمى باريس كانت باريز تركع عنـد قدمى مدام ركاميه . واراد ذلك الجبار ان يتزوجها فرفضته لان مفتاح قلبها كان بيد شاب من اشراف الانكليز

ولم يكن نبوليون الرجل الوحيد الذى رفضته . فقد ذكر التاريخ من الذين تزاحموا عليها عدداً غير قليل منهم البرنس اوغسطوس البروسيانى والدوق ولنتون الانكليزى وغرندوق آخر عظيم وجمهور من الحكام والاشراف والعظماء ورجال السيف والقلم . فكانت ترفض الجميع على حد سواء لانها وهبت قلبهـا للشاب المذكور وقـد كان سابقاً رئيس جمعية تألفت يومئذ من اشراف الانكليز لانقاذ الاشراف الفرنسويين من مخالب الثورة الفرنسوية

ولكن موانع حالت دون اقترانها بحبيبها فاقترنت بغيره مكرهـة . وكان زواجها هذا ارتباطاً اسمياً فقط . ثم مات حبيبها بعيداً عنها ومات بعده زوجها ايضاً . وقيل ان نبوليون سبّب موت زوجها انتقاماً منها . على ان باريز كانت تفديهـا من غضب نبوليون ولهذا لم يستطع ان ينالها باذى . وبعـد سنين قليلة نشأت مودة عظيمة بينها وبين شاتوبريان الكاتب الافرنسى الشهير فزعم الناس انها ستقترن به ولكن قلبها كان لا يزال متعلقاً بذكرى حبيبهـا القديم . وقد بقيت اربعاً وثلاثين سنة وعالم الجمال خاضع لسلطتها . وفى اثناء مرضها كتبت الرسالة الآتية الى السر انزورث ولكنها لم تستطع اكمالها فختمتها صديقتها مدام ستايل الكاتبة الافرنسية

الشهيرة وكانت من اعز صاحباتها . ولمدام ركاميه صورة شهيرة في احد متاحف باريز الكبرى)

ملاكي الحارس :

جلست الآن الى نافذتي اراقب الافق وانظر الى الغيوم القطنية تنعكس عنها اشعة الشمس الحمراء . وقد هاج مرآها في نفسي عواطف وتذكارات رجعت بي الى ايامنا السالفة فأخذت القلم لاكتب اليك هذه السطور مع ان الطبيب قد نهاني عن الكتابة والمطالعة وأمرني بالتزام الراحة والسكون . ولكنني اشعر بشوق الى مخاطبتك ولو عن بعد واريد ان ابث اليك ما أبقتهُ الايام من آثار ذلك الحب القديم

لست اعلم اين انت يا رالف فقد طال عهد فراقنا حتى صرت أرى ايامنا الماضية اشبه بغمامة صيفٍ لاحت قليلاً ثم تلاشت في الفضاء . يقولون لي انك الآن في الهند حيث تتمتع بهواء أجف من هوائنا فان الفصل عندنا الخريف ومرأى الاغصان المجردة يثير في النفس لواعج محزنة . ولو كنت هنا لأحزنك مشهد الاشجار العارية والحقول المقفرة فان زقزقة العصفورة قد انقطعت وهديل الحمام قد بطل ولم يبقَ الاَّ خرير الماء يملأ الوادي كأنهُ أنة عاشق منكسر القلب

وقد اذكرتني هذه الشمس الزائلة وقفتنا الاخيرة عند الغروب يوم اتيت لتعيد اليَّ رسائلي وتأخذ رسائلك لان أهلك وقفوا يومئذٍ بيننا وحالوا دون تحقيق احلامنا السعيدة

في ذمة الله تلك الايام الماضية ! في ذمة الله احلام غرام لم يبقَ

منها الأذكرى تتضاءل بمرور الايام . أيعود الماضي فيبعث لنا من اكفانه اماني دفناها فيهِ ؟ أيعود فيحي لنا آمالاً كانت تظللنا باجنحتها الذهبية ؟ هوذا الآن قد انطوت تلك الاجنحة واستراح الرقباء الذين لم يكونوا يغمضون عنا أجفانهم حتى بلغوا من امانيهم ان فرّقوا بيننا فلا يعلم احدنا بمقر الآخر

بل ان مقرّك في فؤادي يا رالف . وانما فقدت فؤادي ففقدتك معهُ . وقد كنت اظللك بأجنحة الحب وارسل عليك أشعة الحب واسمعك أناشيد الحب فلم يبقَ اليوم من تلك الاجنحة الاَّ سحابة زائلة ومن تلك الاشعة الاَّ نور ضئيل ومن تلك الاناشيد الاَّ خفوق قلب منكسر

قضيت أشهر الصيف متقلبة على سرير المرض . وانا الآن في طور النقه . يقولون لي انني كنت اردد اسمك في ساعات غيبوبتي واذكر أيامنا الماضية . اما انا فلا اتذكر من ذلك سوى انني كنت كلما سمعت صوتاً بباب غرفتي ألتفت لأرى هل انت الداخل ام غيرك

كنت في اثناء مرضي اتعزّى بفكر غريب . كنت اعلل نفسي بالموت واتمنى ان انتقل الى عالم الارواح لكي تحلق روحي في فضاء الابدية فترفرف حولك وترقبك من علوها الشاهق . ولكن فكراً آخر كان يروعني فقد كنت اخشى ان يزيد موتي في حزنك فلا تعود ترى لذة في الحياة . ولكن من يعلم : لعل حبي لك غير حبك لي يا رالف . انا اعلم انك تفضلني في كل شيء . فأنت اشرف مني اصلاً واغنى ثروة واجمل طلعة واوسع جاهاً واكثر ذكاءً . انت تفوقني في كل شيء . ولكن

هنالك شيئاً واحداً افوقك فيهِ وهو الحب . حبي لك مستمد من حب الملائكة فهو انقى من ندى الصباح وارق من خطرات النسيم وارسخ من راسيات الجبال واطول من مدى الخلود وابعد من حدود الابدية . حبي لك يريني للحياة معنى جديداً فيصوّرها لي ربيعاً مستمراً . ولكنهُ يخيفني من الخلود لان الخلود قصير المدى في نظر العاشقين

أجل يا رالف . كثيراً ما تمرّ بي دقائق تزيد في شقائي فأندم لأنني رضيت بالبعد عنك وأتمنى لو أبيت مفارقتك على رغم معارضة أهلك . ولكنني اعود فأتعزى بهذا الفكر وهو انني فعلت ذلك لكي اكفيك مؤونة الخلاف مع اهلك لانني اكره ان اكون السبب في ذلك

انا اميل اليوم الى الوحدة واجد فيها تسلية كبيرة لانني استطيع بها ان اتفرغ للتفكر فيك . هل تذكر كم كنتُ محبة للّهو والمرح ؟ واما اليوم فانني احب العزلة لانني اجد في هدوء الطبيعة عظة ابلغ من النطق ، واسمع من خلال سكوتها اناشيد « هلاّس » ذات القيثارة الذهبية فاتصوّرني مترامية بين ذراعيك احدق النظر فيك واسرّ اليك نغمات الغرام

لعلي أطلت هذه الرسالة عليك . ولكن قلبي مفعم بتذكارات تهيج في نفسي لواعج حزن وسرور وأنا اريد ان ابثك ما استطيع من مكنونات الفؤاد اذ من يدري هل أعود فأجد فرصة كهذه لمناجاتك ايها الحبيب ؟ ولكن الظلام قد أحدق فسأبقي هذه الرسالة الى الغد .

الى الغد . . .

. . . . . .

(بعد اسبوع)

مولاي . . . طلبت اليّ « جان » ان اكمل هذه الرسالة وأبعث بها اليك فقد علمت عنوانك ولا شك انك تود الوقوف على خبر منها . مسكينة « جان » ! انها تحبك حتى الموت وتزدري العالم كله من اجلك . مضى عليها يومان وهي في غيبوبة لا تشعر معها بشيء وتراني جالسة الى سريرها اذرف العبرات ولكنني أتجلد قدامها وأتعلل بالآمال . قلت لها اول البارحة ان الطبيب شديد الأمل بشفائكِ فابتسمت ابتسامة ازدراء وأدارت رأسها على وسادتها كأنها تقول « أنا أخبر بنفسي من الطبيب » حقاً لو تراها اليوم لأدهشك كم قد غيّرها الزمان . ليتك تحضر وتشاهدها فلعل رؤيتك تعيد اليها شيئاً من الحياة . . .

(بقلم سليم عبد الاحد) صرام سنابل

الحرب اليونانية العثمانية

﴿ موقعة دوموكوس [1] ﴾

يوم ١٧ مايو (ايار) سنة ١٨٩٧

عند الساعة الرابعة من صبيحة هذا النهار نبّه البوق الجنود العثمانيين ، فهبوا من رقادهم ، وعكفوا على الصلاة ، فكان لهم لغط في غدر ذلك الوادي

(١) لما انتشبت الحرب اليونانية العثمانية سنة ١٨٩٧ كان « بيار ميل » Pierre Mille الصحافي الفرنساوي مندوب جريدة « الديبا » Débats فيها . وقد كتب في وصف المعارك التي حدثت بين العثمانيين واليونانيين فصولا شائقة